خطاب الدكتور عبد الرزاق محيي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي

السـادة الأعلام

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فالمناسبة التي نحتفي بها من أكرم مناسبات العربية في جميع أقطارها ، ومن أجدرها بالاستجابة الحرّة المطاوعة من قبل أي مثقف عربي ، ألم بنهضة العرب الحديثة وعرف الرادة الأوائل من أبنائها .

وإذا جاءت الشام في مقدمة الأقطار العربية الرائدة لهذه النهضة – وهي بالحق كذلك – فإن المحتفى به يجيء في طليعة الرادة في هذا القطر ، فالاحتفاء بذكراه يعني أول ما يعني احتفاءً بريادة القطر الشامي للنهضة العربية ، وتنويهاً بحقيقة ما قدمته هذه البلاد للأمة العربية ، ويعني ثانياً الاحتفاء بأبي الرادة ومعلمهم الذي ثقفت الشام به ، وبإخوان تماوروا معه الأبجدية الأولى من كتاب النهضة الحديثة .

أما العراقيون – وبينهم أعضاء المجمع العلمي العراقي – فحين تلقوا الدعوة لهذه الذكرى – أكبروا في الشام روح الرعاية العلمية ، لذكرى جديرة بالرعاية ، وقدروا أن في مشاركتهم بعض الوفاء لشخصية سبق أن آثروها بالعرفان وبالتقدير ، في كتب وبحوث عادت جزءاً من تاريخ الرجل ومعالم شخصيته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

فإليك ، أبا المجامع ، منا الاجلال والتقدير والعرفان بالسبق إلى إبداع الروح المجمعي ، وتقديم المثال الرائع في ذات مجمع دمشق الخالد .

أيها السادة

لو أن علماً من أعلام الأمة يغني عن تعريف لمكانه الرئيس المحتفى بذكراه ، ولو أنّ تعريفاً ضاق بالمعرّف ووقع دونه وضوحاً وجلاء ، لكانه التعريف الذي يورد تجليت لشخص محمد كرد علي ، فالرجل أجلى من أن يعرف بقوم انتسب لهم ، أو قطر أقام فيه ، أو هيئة عمل معها

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم

كلا لعمري ولكن منه شيبان

ولقد قرأت سيرة الرجل وآثاره من قبل ، وأعدت قراءتها احتفالاً بهذه المناسبة فكانت على جلالها من بعض مظاهر تأثيره في قومه ، وأثره في النهضة الحديثة ، بل كانت المظهر المنظور لعالم غير منظور .

المظهر المنظور من سيرته أن أنشأ مجلة ، وأصدر صحيفة ، كانت يومها من أمهات الصحف والمجلات ، والعالم غير المنظور الهيمنة المطلقة على ما أنشأ والروح التي نُفِثت في كل حرف من حروفها ، وكل رأي ضمنته تلك الحروف .

العالم المنظور أن أنشأ مجمعاً لغوياً ورأسه ، وغير المنظور أن كان كل شيء في المجمع ، أو بدا وكأنه كل شيء في المجمع . العالم المنظور أن صادق وخاصم ، وسالم وعادى ، وعاش حياته محارباً أو مجاهداً في أكثر من ميدان ، خرج منها جميعاً بالظفر ، أو بالسلامة في أدنى تقدير ، والعالم غير المنظور أنه لماذا كان كذلك ، وكيف تم له كل ذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net
الجمهورية العربية السورية مجمع اللغة العربية

مفتاح شخصيته في تقديري اعتداده بنفسه اعتداداً ما كان يرضيه منها إلا بلوغ أبعد الغايات في أكثر من مجال من مجالات الحياة ، ثم ما ساوره بأن ذلك من قدره القادر عليه ، والممكَّن منه ، لذلك تراه يعمل في ميادين موزعة على عدة اختصاصات ، بإيمان من قدرة تهيىء له أنها قادرة على ولوج كل هذه الاختصاصات . يعينه على القناعة بما قدّر لنفسه ، وأقدرها عليه ، دأبٌ وحرص على أداء الواجب يوشك أن يبلغ به ما يبلغه المتخصصون الغاوون المنقطعون لفرع من فروع المعرفة .

كان الرئيس محمد كرد علي فاعلاً بفاعلية ذاتية ، مريداً بإرادة لدنيّة ذاتية ولكنه فاعل بذاته لأمته ، ومريد لمجتمعه بشخصه ، ومن هنا اختلط الأمر على بعض معاشريه وخلطائه ، فحسبوا فاعليته الذاتية أنها لغرض ذاتي وإرادته الذاتية اللدنية أنها إرادة لمحض تحقيق غرضه ، فكثر بذلك مناوئوه وشانئوه ، وانبرى لخصومته بل لعدائه فئات تعمل في صفه ، بل فئات تسعى لتحقيق ما هو ساع إليه . ولو فُهِمَ محمد كرد علي – كما يجب أن يفهم – لانتقلوا من صفوفهم إلى صفه ، بل لو استطاع الرئيس أن يغير ما بذاته – وكان من الخير ألاّ يستطيع – لخلت حياته العلمية والاجتماعية من كثير من المتاعب ، ولتجنب المضايقات والمعوّقات التي ألقاها المعوّقون على طريق رسالته .

كان موسوعياً بأشمل ما تعنيه الموسوعية من معنى ، تنوعاً في المعرفة ووفرة الانتاج ، وبلوغاً بها الحدّ الذي تقع دونه همم الموسوعيين ، ولكن الموسوعية عنده لم تحيف الموضوعية التي يطالب بها العصر الحديث ، ولا التخصص الذي لا بد منه من أجل التوفر على أسباب الاحاطة .

ولقد توارد على صعيد دراساته كثير من المحدثين المتخصصين بالدراسات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net
مجمع اللغة العربية الجمهورية العربية السورية

الأدبية أو التاريخية أو الاسلامية ، فما وجدوه واقفاً من تلك القضايا بعيداً عما وقفوا ، بل لم يجدوا فما انتهوا إليه بالتخصص والموضوعية كثيرَ فرقٍ عما انتهى إليه بالشمولية والموسوعية .

وكان الرئيس صحفياً يجيء العمل الصحفي في مقدمة أعماله ، والنعت به من أظهر نعوته ، ولكنها صحافة الرأي لا الخبر ، وصحافة الدعوة إلى مهيئات الأحداث وإثارة أسبابها ، وليس إلى تسجيل الأحداث وما تسبب من حدوثها .

والفرق بالغ بين الصحافتين ، تلك صحافة مريدة قاصدة ، وهذه – إن صدقت – صحافة متلقية شاهدة ، وشتان بين أن تترقب الحوادث وترصدها ، وبين أن تمهد لها وترهص بها ، فأنت في الثانية مفكر مدبر ، وفي الأولى حاكٍ مصوِّر .

آمن بالعربية لغةً فدعا إلى تحريرها وتطويرها ، وصدَّق الدعوة بما نشر من آثار وحرَّر من أفكار ؛ وآمن بالعربية أمة لها شمائلها وخصائصها ومقوِّماتها فدعا إلى تحريرها وسيادتها ، وصدق الدعوة بكفاح سياسي مرير . وشفع الكفاح بالحجة التاريخية والسند العلمي فخرج من ذلك بها أمة من أرحم الأمم حين تسود ، ومن أقدرها على ردِّ الحيف حين تساد ، وجلَّى للمحبِّ والشانيء أنها من الأمم الراقية ذوات التاريخ الحضاري ، المشهود له بالفضل على الانسانية .

آمن بالإسلام ديناً يعبد به الله وحده فطالب بتنزيهه عن شبهات الشرك وتجريده من طقوس الرهبانية ، وآمن به نظاماً حياتياً ميسراً يفرض العمل ويرفض العطل ويريد اليسر ولا يرضى العسر ، وقدّر أنه والعلم ردفان ، وأنها للانسانية عونان ، تعيش بها عيش سلام وتعاون وإخاء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذلك ، أيها السادة الأعلام ، غالب ما تهيأ لي من انطباع عن سيرة الرئيس الرائد لا أدعي أنني استوفيت فيها جوانبه أو وفيت بها حقه ، وإنما هي إلمامة تعبر عما بلغتْ من سيرتُه ، وليس عما بلغته سيرته .

أبا المجامع ، نم قرير العين بما خلد لك من ذكر ، وما كتب لك من صالح عمل ، واهنأ فإن جملة ما أسست وشيدت قائم يتسامى مع الأيام ، بجهد النفر الصالح من تلاميذك وأبنائك في الجامعات وفي مجمع الخالدين ، وإن الجامعات العربية علت لها صروح في كل صقع من أقطار أمتك ، فتضاءلت الأمية التي كنت تخشاها ، وانتشر العلم الذي نعمل على نشره ، وأوشكت العربية تعود لغة علم وحضارة بل لغة لها في المحافل الدولية قلم ولسان .

وأنت أيها الشيخ الجليل الرئيس الدكتور حسني سبح . منَّ الله عليك بالعافية ، ولا خلا لنا مجلس منك ، فبارك الله في سعيك ، ومدّ عمرك ، وكتب لك ولإخوانك في المجمع نائباً وأعضاء وأميناً سعادة العيش ، مع أقصى ما ترجون لمجمعكم وأمتكم من تقدم وتوفيق .

وفي ختام كلمتي أستأنف تحية وشكراً للسادة السامعين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net
الجمهورية العربية السورية مجمع اللغة العربية